

الفصل الخامس: قصف مدينة نطنز

حلقت ثلاث مقاتلات نفائة في أجواء المملكة العربية السعودية إلى الشمال من قاعدة حفر الباطن، ومن ثم توغلت في المجال الجوي العراقي في اتجاه الشمال الشرقي. بدت للعيان أمام الطيارين الأراضي الرطبة على نهر شط العرب، فبدأ التوتر يسيطر عليهم وهم على وشك الوصول إلى الأراضي الإيرانية. أعتزضت طريقهم كتل جبال زاغروس بلونها البني المحمر، فعليهم عبور هذه الجبال للوصول إلى مدينة نطنز. ورغم ذلك، كان يعلم الطيارون أن هناك قاعدة جوية في مدينة أصفهان الإيرانية على بعد عشرات الكيلومترات جنوب نطنز، وهم على يقين من أن المقاتلات الإيرانية قد تقوم بالتصدي لهم والهجوم عليهم.

أخذ الطيارون وضع الهجوم، وبمجرد ما ترات لهم مآذن المساجد في مدينه أصفهان أخذت المقاتلات في الهبوط الحاد من ارتفاع 13 ألف متر، حتى بدت الطائرات وكأنها ثلاثة أسهم تسقط من السماء، حتى وصلت إلى إرتفاع منخفض بالقرب من سطح الأرض.

حسب الخطة فسوف تبقي الطائرات على علو منخفض حتى تقصف الهدف ومن ثم تعاود الصعود بسرعة فائقة إلى الأجواء، فهم في هذه الأثناء في المرحلة الثانية (مرحلة الطيران المنخفض) من خطة العملية "High-low-low-high".

المشهد على الأرض عبارة عن سهول من البراري الطبيعية، بما يسمح للطيارين من رؤية مسار الطيران ممتداً بامتداد البراري وكأنه طريق رسم بنمط هندسي. أعجب الطيارون بالمشهد كما لو أنه لوحة رسمها فنان تجريدي لا يمكن فهمها. على أية حال، لم يكن هناك حاجة للتأكد من التضاريس الجغرافية على مسار الهدف من قبل الطيارين، فكل ذلك تم برمجته في جهاز الكمبيوتر ويمكن رؤيته بسهولة على شاشة الكريستال أمام الطيار، وماعليه سوى توجيه المقاتلة نحو الهدف، والسيطرة على المقود باليد اليسرى، ومن ثم الضغط بلطف على زر إطلاق الصواريخ بإبهام اليد اليمنى ليصيب الهدف، وهذا يكفي.

الفصل الخامس

خرج القائد "مافيا" بمقاتلته عن مساره في الجناح الأيمن خلف القائد "إليت" مع تخفيض سرعته، وكان هو الذي بدأ التصويب نحو الهدف. وحل "إليت" من خلفه، وكان "عبدالله" في ذيل التشكيل، الذي تحول من تشكيل الثلاثة أسهم إلى تشكيل يشبه الرمح الواحد.

في ذلك الوقت كانت شاحنة تسير على الأرض تثير خلفها سحابة من الغبار، تركت للتو الطريق الرئيسي لتسلك الطريق البري المؤدي إلى نطنز. كانت الشاحنة مكدسة بالأغذية مثل الخضروات والفواكه واللحوم والدواجن المحملة من سوق أصفهان. فقد غادرت أصفهان مع إرتفاع صوت أذان الفجر من مسجد السوق، لتصل بعد عدة ساعات إلى هنا على مقربة من نطنز. أشعة الشمس الحارقة في ذلك الوقت بدأت تثير حميم الأرض، والسائق الذي هاجمه النعاس متشبث بعجلة القيادة فلا يكاد يرى قدوم السيارات المقابلة في هذا الطريق البري المستقيم، رافعا صوت الأغنية المنبعثة من جهاز الكاسيت. كانت السماء الزرقاء تغطي النصف العلوي من الزجاج الأمامي للشاحنة. وفجأة، لمع في السماء شيء ما أمام السائق، فوضع كلتا يديه على المقود وحقق في ذلك البريق، وإذا بها ثلاثة أسهم تتوجه نحوه وهي تتحول بسرعة فائقة إلى رمح ضخم.

تحقق السائق من أن هذا الشيء هو عبارة عن طائرات مقاتلة، فقد إعتاد على رؤية الطائرات النفاثة التي تهبط في قاعدة أصفهان الجوية. ولكن هذه المرة الأولى التي يشاهد فيها طائرات من هذا القبيل تحلق على إرتفاع منخفض في هذه المنطقة النائية، نسي النعاس، وحبس أنفاسه واستمر يحدق في المشهد.

أنطلقت سحابة دخان بيضاء رقيقة من الطائرة الأولى، وتبعتها سحابة أخرى، صاروخين أصابا المبنى على الأرض، مما أثار سحابة رملية كثيفة غطت المكان وسمع دوي انفجارات متتالية هزت الطريق. كاد السائق أن ينحدر عن حافة الطريق إلى الصحراء، فأخذ بزمام عجلة القيادة مع الضغط على المكابح وأوقف الشاحنة على الفور. فتح نافذة السيارة ليتحقق من الأمر فاستقبلته الرياح الساخنة المحملة بالغبار. ومن باب الفضول أخذ يمعن النظر في الطائرات وهي تعبر من وسط سحابة الغبار.

تأكد القائد "إليت" بأن الصواريخ الموجهة بالليزر التي تعرف بأسم "بانكر باستر" والتي أطلقها

الفصل الخامس

"مافيا" قد أصابت الهدف بدقة. ورغم أن ما شوهد في موقع الانفجار كان مجرد سحابة غبار، إلا أنه يقال أن الدمار الذي تحدثه صواريخ "بانكر باستر" يصل إلى عمق عشرات الأقدام تحت الأرض، وكما يمكنها اختراق عدة أقدام حتى في الخرسانة المسلحة السمكية. على أية حال، اثنين فقط من قنابل "بانكر باستر" لم تصل إلى الموقع النووي في باطن الأرض. قام "إليت" بتنفيذ الهجوم الثاني على الفور، فقد تتبع مسار "مافيا" وأطلق صاروخين آخرين من نفس الارتفاع ونفس المسافة، وبمجرد إسقاط الصاروخين إرتفع "إليت" بطائره إلى الأعلى ليكمل المرحلة الأخيرة من العملية حسب الخطة "High-Low-Low-High".

كشفت رادار الأشعة تحت الحمراء لدى "عبد الله" حرارة منبعثة من سحابة الرمال، فقدم تقريراً عن ذلك إلى "إليت". وعلى الفور أمر "إليت" عبد الله بتنفيذ الهجوم الثالث قائلاً "قد حان وقت القتل". طائرة عبدالله تحمل أيضاً صارخين من صواريخ "بانكر باستر" واحداً تحت كل جناح. كما ثبت تحت جسم الطائرة صاروخاً محملاً بقلبة "حتمية"، وهي التي تفوق قدرتها التدميرية صواريخ "بانكر باستر" بأضعاف. ولا تستخدم هذه الصواريخ إلا في حالة عجز صواريخ "بانكر باستر" عن تدمير هدف العدو. وبمجرد إطلاقها فسوف تقوم بمهمة تدمير منشآت العدو بالكامل، وهذا يعني إبادة العاملين في المنشآت أيضاً. كما أنه حتماً يحدث أضرار جسيمة للمنطقة المحيطة بمكان الانفجار لفترة طويلة من الزمن، وهذا هو الضرر الذي يعرف بالتلوث الإشعاعي.

إسرائيل لديها عشرات من الرؤوس النووية تخبأ في سراديب تحت الأرض وتحاط بأكبر قدر من السرية، كما أستطاعت تطوير صواريخ صغيرة مزودة برؤوس نووية يمكن تثبيتها في الطائرات المقاتلة بإمكانها تحديد الهدف المراد قصفه بدقة فائقة.

في الواقع، لو استخدمت إسرائيل السلاح النووي في قصف نطنز، فمن المؤكد أن تدخل في إشكالات مع المجتمع الدولي. إلا أنه في هذه الحالة، فإن إسرائيل وضعت في مخططها تبرير إنتشار النشاط الإشعاعي الذي سينتج عن القصف بأنه تسرب مواد نووية من المفاعل النووي في

الفصل الخامس

نطنز. وعلاوة على ذلك، فإن إسرائيل سوف تصر على الإدعاء بأن حقيقة النشاط الإشعاعي الناتج عن القصف ماهو إلا دليل واضح على أن إيران تعمل على إنتاج السلاح النووي. فإسرائيل بارعة في خلق الحجج وتشويه الحقائق.

على كل حال، بعد صعود "إليت" للأعلى اتخذ إرتفاعاً يمكنه من التحقق من موقع الهدف بصرياً. ومع انقشاع سحابة الغبار تحقق "إليت" من وجود حفرة على شكل ثقب في الأرض يتصاعد من مركزها دخان أبيض. بطبيعة الحال تختلف تلك السحابة البيضاء عن سحابة الغبار التي أنقشت، فالدخان الأبيض دليل على أن ناراً تشعل تحت الأرض. عند ذلك أطلق "عبد الله" صاروخ "بانكر باستر" الخامس على مركز الحفرة حيث مكان تصاعد الدخان، وإذا بعمود من اللهب الأحمر يتصاعد من فوهة الحفرة فوراً. وما هي إلا لحظات حتى شوهد أناساً يهرعون واحداً تلو الآخر من فتحات صغيرة حول الثقب سببتها الانفجارات، كأنهم مجموعة من النمل يخرجون من خليتهم. لقد دمرت مرافق نطنز بالكامل بواسطة صواريخ "بانكر باستر" الخمسة.

"أنتهت عملية القصف بنجاح" كانت هذه رسالة "إليت" الصوتية الموجهة للقاعدة الرئيسية في إسرائيل، كان صوته منخفضاً ويرتعد قليلاً ولكنه صرخ بأعلى صوته مع شدة فرحته. كان يتخيل هتافات قادته ومرؤوسيه في مقر القاعدة الجوية هناك.

"لابد أن أبي سعيد أيضاً!!". كان والد "إليت" بالرحم يعد بطلاً في حروب الشرق الأوسط، وهذه العملية سوف تكون مدعاة له لمنافسة والده بالرحم. فقد كان والده في السابق يحمل عليه الأحقاد، ولكنه الآن يشعر بأنه أصبح يألّفه قليلاً. لقد كان مقتنعاً تمام الإقتناع بأنه بعد عودته من هذه المهمة بسلام سوف يصبح فعلاً "من النخبة".

انتهت عملية قصف نطنز بإطلاق خمسة صواريخ "بانكر باستر"، ومازال هناك صاروخ "بانكر باستر" سادساً تحت الجناح الأيسر لمقاتلة "عبد الله"، وصاروخاً يحمل رأساً نووياً صغيراً تحت جسم الطائرة.

الفصل الخامس

بالتأكيد فإن القوات الجوية الإيرانية قد علمت بوقوع الحادث في نطنز وسارعت على الفور إلى مقر القصف. لذا ينبغي على المقاتلات الإسرائيلية مغادرة المكان بأسرع وقت ممكن، وبالفعل انطلقت الثلاث مقاتلات بما فيها مقاتلة "عبدالله" التي مازالت تحمل صاروخين، وصعدوا نحو الأفق للخروج من المجال الجوي الإقليمي لإيران. ظهرت المقاتلات الثلاثة على جهاز الرادار في الطائرات الإيرانية التي انطلقت من قاعدة أصفهان الجوية لملاحقتهم. في الحقيقة، اكتشف رادار الطائرات الإيرانية الثلاثة المقاتلات المجهولة الهوية بعد أن أنتهت فعلياً من قصف نطنز. فسلح الجو الإيراني يفنقر لأجهزة نظام الإنذار المبكر المحمول جواً (أواكس) والذي يمتاز بقدرته على الكشف على المبكر لتسلل العدو، فقط يملكون تلك الرادارات القديمة جداً. كما أن المقاتلات الإيرانية مازالت من الطراز القديم، ومستوى أدائها ضعيف، لا يمكن مقارنته بأداء طائرات F-16. وبالتالي لا يمكن للمقاتلات الإيرانية العتيقة ليس فقط الإغارة على طائرات F-16، بل ولا حتى يمكنها اللحاق بها. لذلك نجت الطائرات الإسرائيلية وخرجت خارج المجال الجوي الإيراني بمنتهى السهولة.

عادت الثلاث طائرات من إيران عبر الأجواء الإقليمية العراقية، ومن ثم كان عليهم تتبع نفس المسار في طريق العودة إلى القاعدة. كان مقياس الوقود يشير إلى أن الوقود قد انخفض بالفعل إلى أقل من الربع، فمن الصعب العودة إلى القاعدة دون إعادة التزود بالوقود. على أية حال، كان يفترض أن ناقلة جوية لإعادة التزويد بالوقود قادمة في الطريق لهذا الغرض، لقد كانوا مقتنعين تماماً بأن ليس هناك ما يدعو للقلق. ولكن،

جاءتهم تعليمات من القاعدة غير متوقعة، فقائد القاعدة يأمرهم بتغيير مسار الرحلة إلى الجنوب والتوجه نحو مضيق هرمز عبر الخليج الفارسي. أعتقد الثلاثة طيارين للوهلة الأولى بأنهم لم يستمعوا جيداً للتعليمات من القائد..